

الشباب في المجتمع الافتراضي: نسبية الهوية وبنية المواطنة

Youth in the virtual community: the relativity of identity and the structure of citizenship.

سفيان رباش^{1*}، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، (الجزائر)،

sofiane.rebbache@univ-alger2.dz

المؤلف المرسل:	تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الإرسال:
سفيان رباش	2026/06/02	2026/03/30	2026/03/26

الملخص:

هدف الدراسة الوقوف على إضافات الفضاء العمومي الافتراضي الايجابية على المواطنة بالارتقاء بها وتقوية ركانزها لدى الشباب المُنفّتح على الوسائل الحديثة للتواصل والتثاقف وتجاوز العقبات المكانية واللغوية والهوياتية، واستثماره في مد الجسور بين المجتمع الواقعي والمجتمع الافتراضي، مع التركيز على خاصية الانفتاح في الفضاء العمومي الافتراضي المُتجاوز لأدلة الشباب وتعصب الهوية والتمييز العنصري والثقافي.

وهذا في إطار الايجابية التي تحملها الهوية في نسبيتها واحترامها الخصائص المتغيرة للفرد والجماعة، وما لها من تأثير وتأثر وعلاقة ببنية المواطنة خاصة ما تعلق باحترام التنوع والانتماء من جهة، والالتزام بالتوزيع العادل للحقوق والواجبات من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: المجتمع الافتراضي، الفضاء العمومي الافتراضي، الهوية، المواطنة.

Abstract :

The aim of the study is to identify the positive contributions of virtual public space to citizenship by promoting and strengthening its foundations among young who are open to modern means of communication and intercultural exchange, overcoming spatial, linguistic and identity barriers, and investing in building bridges between real and virtual communities, with a focus on the openness of the virtual public space that transcends youth cliques, identity intolerance, and racial and cultural discrimination.

*المؤلف المرسل: سفيان رباش

This is within the framework of the positivity that identity carries in its relativity and respect for the changing characteristics of the individual and the group, and its impact, influence and relationship with the structure of citizenship, especially as it relates to respect for diversity and belonging on the one hand, and commitment to the fair distribution of rights and duties on the other.

Keywords: Algerian youth; virtual collunity; virtual public space; identity; citizenship.

مقدمة:

من ابرز مُمهددات السكينة العامة داخل المجتمع حدة الاستقطاب بين مختلف مكوناته، استقطاب يستند إلى مجاهل الأصل والعرق، يعمد إلى إثارة التمييز على أساس اللغة واللسان والأصل وسرديات التفوق والفوقية أو يدفع بنتوءات تُظهر تشذبات هوياتية، قد يؤدي إلى انشطار وتفكك المجتمع الواحد ومنه الخروج عن السلمية والشرعية، فتتنوع أساليب المواجهة بين المكونات المنشطرة تنوع الدوافع التي أدت إلى هذه المواجهات، لتصل في حدودها القصوى إلى انتهاج أساليب العنف بمختلف أنواعه، وفي كلٍ ضرر يمس كيان المجتمع وتماسكه، ويترك آثارًا تمتد عبر الزمن إلى أجيال لاحقة تحمل في تراكيبها "عقيدة" عدم الثقة والتوجس والصدام مع الآخر لتتشكل بذلك سلسلة متوارثة مسلمة جيل إلى جيل تحمل إرث العداوة والاشتباك داخل المجتمع الواحد ضد مكون آخر من المجتمع نفسه.

وإذ نعلم أن الشاب يحمل طوعًا أو كرهًا مُخرجات ومُخلفات البيئة المجتمعية بالسلب أو بالإيجاب ويتفاعل مع المحيط ضمن فضاء عمومي يختلف في مدى انفتاحه من مجتمع إلى آخر، وخلال مجتمع مدني مستقل أو "مرتعي" في مرعى سُلط متنوعة المشارب والغايات، قد تعتمد إلى حمل الهوية للابتعاد عن نسبيتها واحترامها الخصائص المتغيرة للفرد والجماعة، وما لها من تأثير وتأثر وعلاقة ببنية المواطنة خاصة ما تعلق منها باحترام التنوع والانتماء والالتزام بالتوزيع العادل للحقوق والواجبات.

نُضيف إلى ما سبق، المدخلات والمتغيرات الرقمية على هذه الفئة في صور متنوعة، وعبر إضافات إدخالها على المجتمع المدني والفضاء العمومي وبالتأكيد على المواطنة التي أضحت تحمل مقومات نجاحها بالارتكاز على ما تتيحه هذه الفضاءات الجديدة.

وعليه، فإن الوقوف على إضافات الفضاء الرقمي وما أتاحتها من سبل الارتقاء بالمواطنة وتقويتها لدى الشاب المُفتّح على الوسائل الحديثة للتواصل والتثاقف وتجاوز العقبات خاصة عقبة الهوية عندما يراد لها الابتعاد عن نسبيتها، مع توسيع الجسور بين الواقعي والافتراضي، والتركيز على الانفتاح المُتجاوز لأدجلة الشباب والتعصب لعرق أو ثقافة أو لغة.. الخ

نحاول الاقتراب من الإجابة على التساؤلات التالية:

ماهية المواطنة والهوية؟ ما هو موقع الشباب الجزائري في المجتمع الافتراضي؟ ما هو دور المجتمع الافتراضي في تفعيل آليات المواطنة الديمقراطية ومواكبة أبعادها؟ العلاقة بين الشاب الجزائري والمجتمع المدني بعد تحرره من الفضاء العمومي المحجوز إلى الفضاء العمومي المفتوح؟
نهدف في هذه القراءة إلى:

تبيين مفهوم المواطنة والتأصيل لمفهوم الهوية، والعلاقة بينهما،
الوقوف على مكانة الشباب الجزائري في المجتمع الافتراضي،
دور المجتمع الافتراضي في تفعيل آليات المواطنة الديمقراطية ومواكبة أبعادها،
الكشف عن دور وعلاقة الشباب بالمجتمع المدني، ومتغيرات الخروج من الفضاء العمومي المحجوز إلى الفضاء العمومي المفتوح.

1. المواطنة والهوية: تبيين وتأصيل المفهوم

يتداخل مفهومي المواطنة والهوية، ذلك أن الجودة في مفهوم المواطنة والزئبقية في مفهوم الهوية تجعل من التداخل أبرز الصور وأقوى الأثر، مما يوجب ضرورة التمييز، ويجعل من الأهمية الإحاطة بالمفهومين وفض التداخل بينهما.

1.1 أهم تعاريف المواطنة:

الوطن لغة هو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، فهو وطنه ومحلّه (ابن منظور، 2008، صفحة 233)، بشكل عام الوطن قطعة الأرض التي تعمرها الأمة، وبشكل خاص هو المسكن فالروح وطن لأنها مسكن الإدراكات، والبدن وطن لكونه مسكن الروح، والثياب وطن لكونها مسكن البدن، فالمنزل والمدينة والعالم كلها أوطان لكونها مساكن (حجازي، 2000، صفحة 79)، والمواطنة كلمة تتسع للعديد من المفاهيم والتعريفات، فهي مأخوذة من الوطن، وهو محل الإقامة والحماية. (يونس عيسى و عائشة عماري، 2020، صفحة 84)

أما اصطلاحا فتعرف بأنها: "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن"، وفي قاموس علم الاجتماع عرفها بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون (خالد و ابو القاسم، جوان 2018، الصفحات 82-83)، فهي العلاقة التي تربط بين المواطنين في وطن واحد من جهة وبينهم وبين الدولة من جهة أخرى وتشمل الحقوق والواجبات التي تترتب على مختلف الأطراف والمسؤوليات والحريات. (يونس عيسى و عائشة عماري، 2020، صفحة 83)

فهي الرابطة الاجتماعية والقانونية بين الأفراد ومجتمعهم السياسي الديمقراطي "وعليه فهي العنصر الأهم والمؤسسة الرئيسية التي تربط الأفراد ذوي الحقوق بمؤسسات الحماية للدولة، ومن ثم فهي تستلزم واجبات ومسؤوليات تصبح الديمقراطية عاجزة من دونها، وتتضمن تلك الواجبات: دفع الضرائب، والخدمة الوطنية، المشاركة في الحياة المدنية والسياسية. (العامر، 2003، صفحة 231)

وعليه، فالمواطنة هي علاقة وجدانية عاطفية بين الفرد ووطنه، تحتم على الفرد القيام بعدة واجبات تجاه وطنية معتبرا ذلك من مقومات هويته وكيانه، حيث تكون على مستوى الفرد القيام بواجباته، وفي الجهة الأخرى على مستوى الوطن يوفر ويحقق ويصون حقوق الفرد.

2.1 المواطنة في الفكر الغربي والفضاء الإسلامي والعربي: بين النشأة والكشف

مفهوم المواطنة من المفاهيم القديمة الحديثة التي يدور حولها جدل كثير، ومن هنا يختلف مفهوم المواطنة حسب الطرف الذي يتناوله، ومن أي زاوية، وتبعاً لما يرد به. (سنان، 2017، صفحة 19)

فيدرك الناظر لتاريخ الفكر الفلسفي السياسي مدى التطور الذي لحق مفهوم المواطنة، فالمفهوم خلال الحقبة اليونانية وقبل الميلاد ليس هو نفسه الذي ساد في فترة العصور الوسطى، وكذلك يختلف عن ذلك الذي عرفته أوروبا بعد الثورة الصناعية، والذي يختلف بدوره عن المفهوم المعاصر للمواطنة. (سنان، 2017، صفحة 20)

فالمفهوم زمن الإغريق، اعتبر أنجع صور الديمقراطية في حينه، وفيه يعد الغرب أصله المكتمل في الحضارتين الرومانية واليونانية، لكن المؤكد أن المفهوم شهد تغيرا جذريا في استخداماته ومضامينه، ولم يعد فقط يشير إلى علاقة المواطن بالوطن، والفرد بالدولة، بل تعدى ذلك إلى كونه مفهوما مجتمعيًا شاملا متعدد الأبعاد للمواطنة. (سنان، 2017، صفحة 21)

ولا يغيب عنا، أن الاحتكاك بالغرب والخضوع لهيمنتها ليس مجرد احتلال عسكري مادي وحسب بل معنوي ورمزي، مدجج بمفاهيم "حدثية" غير مسبقة في تاريخ الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، زادت خصوصية السياق الدولي الحالي وتعميق العولمة من الضغوطات داخليا وخارجيا، مع إدراج موضوعات كثيرة لها ارتباط شديد بالمواطنة من قبيل الهوية والثقافة.

أما المواطنة في مجتمعاتنا فمفهومها له جذور وإن أخذ عناوين أخرى كالأمة والولاية، فإذا كانت المواطنة تعني العضوية فهذا موجود، والتاريخ الإسلامي مليء باستخدام كلمة الأمة، هذه الأخيرة التي لا حدود جغرافية أو سياسية لها، ما دامت العقيدة الإسلامية هي العامل الأساسي في تشكيلها، فالمسلمون أينما كانوا هم ينتمون إلى أمة عقائدية واحدة أمة الإسلام (محسن، 2011، صفحة 23).

الإسلام الذي حوّل الولاء من الولاء بالدم إلى الولاء إلى الأمة، وأطلق حرية المعتقد والفكر في وقت مبكر من الدعوة الإسلامية، مما أسس لفقه المشاركة والذي إرتكز على ثلاثة (03) مبادئ هي: المساواة، تكافؤ الفرص لكل الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر المشاركة السياسية في إصلاح الحكام والمجتمع (محسن، 2011، صفحة 25).

أما عن اعتبار مصطلح المواطنة غربي الأصل فهو بالتأكيد في شكله العام اعتبار خاطئ، ذلك انه وإن صُنف مصطلح جديد فهو "غربي الكشف" وليس النشأة، فرغم أن التقييد عليه في الفكر العربي/الإسلامي ليس بالأمر الهين، لكن إذا أخذنا روح المفهوم فإننا نجده في الكثير من المعاملات والتقاليد والأعراف التي درج عليها العرب منذ القديم، والمسلمون منذ البداية.

فمظاهر الممارسة العربية في حياة القبيلة سواء قبل الإسلام أو بعده لا تدع مجالا للقول بوجود حقوق وواجبات لمن ينتمي لهذه القبيلة أو تلك، هذا ارتباط القومي بحكم اللغة والدم، ونجد كذلك من قامت على غير هذين الرابطين فكان حلف الفضول الذي قام وتعهد على حماية المظلوم مهما كانت القبيلة التي ينتمي إليها (قرقر، 2017، الصفحات 24-25).

ومن هنا وجد رأيين، الأول يذهب إلى القول إنه ليس في مخزون العرب اللغوي، وبالتالي الفكري والوجداني يفيد ما نقوله اليوم باللفظين المواطنة والمواطن، والرأي الثاني يرى غياب هذا القصور الذي يراه أصحاب الرأي الأول، إذ أن جذور استعمال المصطلح ومعانيه تعود على الأقل إلى عهد الإصلاحية الإسلامية وبالتحديد في كتابات الطهطاوي ومحمد رشيد رضا. فهو ليس بغريب مضمونا ومحتوى عن الفكر العربي. (قرقر، 2017، صفحة 25).

أما في الأفكار الشاذة الإقصائية سواء على المستوى "الإسلاموي" أو على المستوى "القومي الهوياتي" فالمواطن هو "المسلم" وعداه ذمي أو كافر، أو هو "العربي" وغيره مَوْلى تابع أو أعجمي، والمعنيان بعيدان كل البعد عن المعنى الحقيقي للمواطنة.

وفي هذا الإطار يقول المفكر الجزائري محمد أركون أن الفكر "الإسلاموي" يخلو من أية محاولة لتطوير سياق للمواطنة كشرط ضروري ليس لنشوء حكم القانون فحسب بل لظهور المجتمع المدني. (طبيب، 2018، صفحة 513).

3.1 المواطنة في الدساتير الجزائرية:

نصت الدساتير الجزائرية على المواطنة باعتبارها مرتبطة بالجنسية واعتبارها كمعيار للتمتع بالحقوق والحريات نص على ذلك دستور سنة 1963 في مادته 11، ودستور 1976 في مادتيه 41 و 58، ودستور 1989 في مواده 16، 47 و 48.

وأتّم دستور سنة 1996 وأعاد تكريس المفهوم في المواد 29 و 42 وحافظ عليها في التعديلات التي أُدخلت عليه سنوات 2002، 2008 وسنة 2016 فكانت المواد 34 و 35، وفي اتجاه أكثر تبياناً جاء التعديل الذي أدخل على الدستور سنة 2020، (دستور، 2020)، وعليه رسمياً نصت مختلف الدساتير الجزائرية على مبدأ المواطنة وحدد صراحة الدستور الساري المفعول الحقوق والواجبات المرتبطة بالمواطن.

4.1 مواصفات المواطنة:

حتى نكون أمام المواطنة الحقيقية يجب توفر مواصفات مثل: قبول ثقافات مختلفة، احترام حق الآخرين وحريتهم، قبول ديانات مختلفة، فهم وتفعيل أيديولوجيات سياسية مختلفة، فهم اقتصاديات العالم، المشاركة في تشجيع السلام الدولي، المشاركة في إدارة الصراع بطريقة اللاعنّف (العامر، 2003، صفحة 232).

5.1 الهوية: تأصيل مفاهيمي

إن الباحث عن وفي مفهوم الهوية يجده من أكثر المفاهيم زئبقية، صعب الضبط والتحديد، لاحتوائه على العديد من التشخيصات والتشعبات مست العديد من الميادين، المجالات والسياقات، فهي حقيقة بئر بعيدة القعر كما جاء في قاموس محيط المحيط (البستاني، 1977، صفحة 323).

كما أن تناول "الهوية" بأساليب وأدوات بحث شديدة الحساسية والتفاعلية مع حرج المساس بها، خاصة في المجتمعات التي قد تصاب بتدني المعرفة ومستويات الوعي، كما أنه ليس من

السهل أبدا تحرر الباحث من أثرها ثم مخاطبة القارئ من جهة، ومن جهة أخرى تهميشها أو توظيفها من طرف الـ"سياسي" ومدى القدرة على التعبئة مع ضعف البين في التوظيف السليم يمكن أن يؤدي إلى زعزعة بنیان المجتمع السياسي ككل. (بومعل، 2005، صفحة 75)

هذا ما يؤكد أن الخوض "العلمي" في الموضوع محفوف بمنزلقات عديدة، أهمها توسيع نطاق مسألة الهوية، الإفراط في إدراج كثير القضايا تحتها، والتعقيم بذلك على مصادر اقتصادية واجتماعية وسياسية معقدة لقضايا لا تقود معالجتها بالأدوات التي تقارب فيها مسألة الهوية إلا إلى الغموض أكثر، خاصة مع تصدر من ينطق باسمها "ممثلون" سياسيون" لجماعات الهوية في سياق الصراع على السلطة في الدولة (بشارة، 2022، صفحة 16).

وعلى العموم وباختصار، الهوية لغة هي حقيقة الشيء أو الشخص المشتمة على صفاته الجوهرية وذلك منسوب إلى "هو" (معلوف، 1986، صفحة 826)، واصطلاحا تتعدد الهوية في مفاهيمها نظرا لسياقات تناولها وتعدد مجالات البحث فيها، ولاسيما في العلوم الاجتماعية وفي منحها الإنساني، وقد اختلف الباحثون في إعطاء تعريف للهوية (مروة، 2017، صفحة 265)، إلا أننا يمكن لنا الأخذ بالتعريف الذي جاء فيه أنها: "نموذج من المعتقدات والسلوكيات يسمح بتحديد الخصوصيات الفردية أو الجماعية أو الثقافية يؤدي إلى تحقيق الاحتواء عن طريق الانتماء أو الاستبعاد عن طريق المخالفة أو العزل، تبرز في المواقف الانفعالية والمعرفية المهددة لكيان الفرد والجماعة كآلية دفاع تضمن الاستمرارية الزمنية والمكانية" (إسماعيل، 2013، صفحة 31).

هذا ورغم الشائع على مصطلح الهوية انه نحت وتوظيف غربي، إلا أن المثير انه لم يثبت استعماله إلا متأخرا، فمعجم أوكسفورد الانجليزي يبين أن الاستعمالات الأولى للمفهوم لم تحصل إلا في القرن التاسع عشر (19)، في هذا الوقت جاءت إلى الوجود ما يسميها ستيفورات هول (Hall Stuart 1932-2014) بـ:"ذات التنويرية"، استنادا إلى "مفهومه عن الشخص الإنساني باعتباره متركزا تماما وفردا موحدًا، مُنح قدرات العقل والوعي والفعل... فكان المركز الجوهري للذات هوية الشخص" (موريس، سبتمبر 2010، صفحة 701)، أي أن نقطة المركز الأساسية للفرد هي هويته، هذا البعد "ذات التنويرية" الذي يشكل مع بعد الذات السوسولوجية وبُعد ذات ما بعد حداثة التمييز المفاهيمي المتباين للهوية لدى هول، الذي اخذ الهوية بثلاثة مفاهيم متباينة: أولاً الذات التنويرية. ثانيًا الذات السوسولوجية. ثالثًا ذات ما بعد الحداثة. (مختار، 2019، الصفحات 511-512)

أما المجتمع العربي والإسلامي فهو ذلك الآخر المخاطب من طرف الغرب والمتعامل معه بالعولمة وآلياتها التي لا تتوقف عن التجدد، العربي الإسلامي المدعو إلى الانصهار هو

أيضا جزء من هذا العالم المتحسس للهوية، وإن كانت دورة التنوير قد مرت عليه قبل أن تتزلق وتحط رجالها غربيا، إلا أن محطتها عربيا وإسلاميا لم تحمل الهوية كهَم وإنما حملتها كحضارة وانعتاق من ظلمة عبودية العبد للعبد إلى نور عبودية المعبود وحده، ولم تكن همّا إلا بعد أن جعلها هذا الغرب كذلك، فهي إذن في "همومها" خصوصية جاء بها الغرب إلى الشرق، وخصوصية ثانية مغربية جاءت بها وزرعتها فرنسا الغربية.

وقد حاول المفكرون العرب والمسلمون الاقتراب من مسألة الهوية، وبطرق مختلفة، إلى درجة أن حولوها منذ أكثر من قرن إلى هوس مزمن، الذي لا تكف الخطابات العربية المعاصرة عن صوغه وإعادة إنتاجه، ويمثل عارضا من أعراض الفشل السياسي في مجتمعاتنا. أما مدلولاتها في العصر الحديث، فإن وصولها إلى العالم العربي والإسلامي كان متأخرا ومتأخرا عن السؤال المتعلق بالوجود، وإن كانت صياغتها قد جاءت على لسان شكيب ارسلان لاحقا في كتاب "لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم؟" (شعبان، 2018، صفحة 05)

بينما تشتت أفكار المثقف من يحسم في أمر الهوية بلغة قطعية لا يكف يكررها حتى الضجر مهما كانت المتغيرات والتحولات، هناك من يستسهل شأنها كأنها لا تمس قضايا الوجود، ومنهم من يركن إلى موقف متأرجح يستسلم تارة لمتطلبات القول بالهوية، وأخرى لإغراءات التبرم والانفصال. (افاية، 2014، صفحة 95)

فيما شكلت وتشكل مسألة الهوية في الجزائر إشكالية خاصة ومتمددة ضمن فسيفاء المشهد الثقافي والسياسي، إذ بالإضافة إلى البعد التاريخي المرتبط بالمرحلة الكولونيالية، الذي لا يزال فاعلا، والذي شد إليه الكثير من المثقفين الجزائريين الذين عملوا على وقف تمدده قبل وبعد استعادة السيادة الوطنية ومنهم **مولود قاسم نايت بلقاسم** الذي ربط وعمل على إثبات الهوية الجزائرية واعتبرها عاملا مهما لتفعيل المواطنة (قاسم، 2007، صفحة 23)، ثم هناك المؤثرات الكونية التي لا يزال العقل الجزائري المتأمل يقف مشدوها إزاءها ولا يجد نقطة ارتكاز تمكنه الانطلاق منها لمُساءلة الآخر كجزء من مُساءلة الذات نفسها. (مهيل، 2007، صفحة 75)

6.1 المواطنة والهوية: العلاقة والبناء

رغم أن الهوية تتقاطع مع المواطنة خاصة عند وفي تعزيز الانتماء والمشاركة المجتمعية، إلا أن ظاهر العلاقة هو الشكل الجدلي، والحقيقة أن هذه الجدلية نابعة من تداخل المفاهيم وتشابكها وعن تتابع تشكل الهوية، ومن جهة أخرى مرتكزات المواطنة واعتبار الهوية احد عناصرها، فالمواطنة شكلت جزءا من مشكلة الهوية

والاختلاف المرتبط بالاحتكاك الفكري والثقافي، وحيث يكون الانتماء إلى الدولة والقانون متقدما على أي انتماء آخر، فالإشكال الحقيقي للمواطنة يتمثل في ترتيب العلاقة بين الفرد والدولة والهوية، والتفكير بالهوية الجماعية السياسية بالضرورة مناقضًا للفردية التي تتشكل منها المواطنة، فالمواطنة تحتاج إلى هوية تعرف بها وهي في الأصل هوية الدولة الحديثة (مروة، 2017، صفحة 265).

2. الشباب في المجتمع الافتراضي: تمكين للمواطنة وتسطيح للعنف الهوياتي

من أهم مميزات العصر هو المجتمع المفتوح، والذي بدوره نتيجة توسع مجالات استعمال الانترنت، مما جعل من تلك الفروق والتباينات والفجوات-المجتمع عامة والشباب خاصة- في مدى الوعي والاطلاع تضيق أكثر فأكثر نتيجة تكافؤ فرصولوج إلى الفضاء المفتوح، والشباب الجزائري كغيره يواكب عصره يطلع ويحاول عن طريق الفضاء المفتوح تجاوز العقبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية... الخ.

1.2 الشباب والمواطنة في المجتمع الافتراضي

نقصد بالمجتمع الافتراضي مجموعة حقيقة تشكلت على الانترنت (صغير، 2017، صفحة 117)، فالمجتمع الافتراضي والفضاء الالكتروني والنظام الرقمي كلها مصطلحات تعبر عن مجموعة من البشر تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافية أو أواصر عرقية أو قبلية أو سياسية، يتفاعلون عبر وسائل ومواقع الاتصال الاجتماعي الحديثة (آسية، 2018، صفحة 388).

والثابت لدى الجميع أن الانترنت أحدث مجتمعا جديدا، وهو مجتمع افتراضي من حيث نشأته وتأسيسه، لكنه واقعي وحقيقي من حيث أبعاده وآثاره (سامي، 2009، صفحة 37)، ولما كان الشباب هم الفئة الأكثر استقطابا واستخداما له، فهم الفئة الأوسع فهما واطلاعا من جهة وتأثرا وتأثيرا - مبدئيا - من جهة أخرى.

فالشباب يجد فيه نفسه منتمي إلى جماعة، ومن خلال البحث في مراحل تأسيس الجماعة الافتراضية وكيفية نشر الوعي والشعور بالانتماء الافتراضي وقفت العديد من الدراسات على نتائج مهمة رسخت فكرة المواطنة الافتراضية، في صورة أكثر تحررا من الحدود والقيود المعيقة لتفعيلها، حاضنة لمنظومة جديدة من القيم تنظم فيها المواطنة حول الانتماء كنواة مركزية في الجماعة الافتراضية، يتمتع فيها الفرد بحقوق وتقع عليه مسؤوليات تحدد دوره في الجماعة الافتراضية، فيحتفظ فيها

المواطن الافتراضي بحق ممارسة المواطنة يتجاوز فيها الأطر القانونية والتنظيمية للجماعة السياسية (المجتمع-الدولة-الأمة) (آسية، 2018، صفحة 389).

فمبدأ تساوي كل المواطنين أمام القانون، بغض النظر عن العرق أو الدين أو الفكر أو الجنس أو العدد أو الوضع الاجتماعي، وحده كفيل بضمان طمأننة فئات المجتمع كافة بأن حقوقها الفردية والجماعية محفوظة (المعشر، 2018، صفحة 22)، وفوق كل أزمة أو محاولات تأزيم.

2.2 الشباب والهوية في المجتمع الافتراضي: أزمة الهوية أم الأزمة في الهوية؟

أزمة تعكس حالة التفتت والتشرد بين هوية تتطرف أو يُراد لها التطرف، تتكسى بتراث موجه التأويل تستضل بقيم مصنوعة وتتدثر تارة بالشرعية في مجمل صورها (دينية، تاريخية، ثورية، سياسية... الخ) وتارة أخرى بالمواطنة في صورتها الشعبوية القائمة على ثنائية العدو والصديق، الوطني والخائن، في مُقابل هوية تستوعب هويات أخرى أو تُدخلها بالقوة والعنف دون تبيينها مما يجعل الفرد في حالة من اللاستقرار الهوياتي.

وفي الحالتين لا مفر من أزمة تصنع بأيدي "متعصبين"، وإن مثلوا أحيانا أدوارا في مشاريع الإصلاح وبناء الأوطان، إلا أن جذور صناعتهم تبقى بعدهم لثقلهم أرضية هي في الأصل هشة هشاشة أسس بناء الدولة الوطنية في كل الأوطان العربية.

الدولة الوطنية التي واكبتها أزمة الانتماء والتي انعكست في الانسحاب من المجتمع للبحث عن هويات مغايرة أو الهجرة نحو الخارج أو التطرف في الداخل. (أمين، 2018، صفحة 64)

وفي غياب اتفاق على مفهوم جامع للهوية، يسهل الحديث عن طوائف وأكثريّة وأقليات، فيتم تعظيم هوية ما على الوطنية، وينقسم الناس إلى "نحن" و"هم"، فتصبح "نحن" رديفة للصديق، و"هم" رديفة للعدو، والأصل الاثنان شركاء في وطن واحد.

وبالتالي لا مجال للحديث عن تطوير مفهوم حداشي للهوية دون ربطه بالمواطنة الحاضرة، لا المستوعبة فقط للتنوع، فحين يطرح الموضوع في إطار هذه المواطنة المحتفية بالتنوع، تصبح الخلافات ليست ثانوية فقط، وإنما مصدر قوة لمجتمع تعددي يحتضن الكل، فجل الاقتتالات في أوطاننا تمت وتتم دون احترامها لهذه التعددية. (المعشر، 2018، صفحة 22)

3. المجتمع الافتراضي ودوره في تفعيل آليات المواطنة الديمقراطية ومواكبة أبعادها:

تُبْنَى الديمقراطية بالمواطنة، التي هي واجهة وعمق الديمقراطية، وكل منهما لا بد منه، وإذا عجزنا أمام عوائق الانغلاق وخطاب "الخصوصية" فإننا الآن في الفضاء

المفتوح والمجتمع الافتراضي نسعى للارتقاء إلى المواطنة الديمقراطية ومواكبة أبعادها.

1.3. المجتمع الافتراضي وتفعيل آليات المواطنة الديمقراطية:

للمواطنة الديمقراطية معايير أساسية تنادي ببناء فرد حر مستقل واع بحقوقه والتزاماته في مجتمع تكون فيه صلاحية وضع قوانين وقواعد سير الحياة المجتمعية هي الإطار الذي يمارس من خلاله الفرد حريته، وحيث تكون السيطرة على الأشخاص الممارسون للسلطة مسؤولية جميع المواطنين (فوزية، 2016، صفحة 136)، معايير هي مهارات لا بد للفرد من اكتسابها والارتقاء إليها ويمكن تصنيفها إلى فئات وهي: فئة المعايير المعرفية، فئة المعايير القيمية وفئة المعايير الاجتماعية. (فوزية، 2016، صفحة 137)

2.3. المجتمع الافتراضي ومواكبة أبعاد المواطنة:

للمواطنة من ناحية المبدأ ثلاثة (3) أبعاد رئيسية إذا أحترمت وأُحترم التمتع بها وتمت مواكبتها بالإجراءات والتدابير ذات الصلة باحترامها لن يكون هناك أية مجال إلى الانحراف إلى استعمال العنف أو أية أشكال أخرى من وسائل الضغط والترهيب، أضف إليها إيجابيات الفضاء المفتوح وتجمعات المجتمعات الافتراضية كانت إضافة ودفعة قوية في اتجاه مواكبة أبعاد المواطنة، وهذه الأبعاد هي: بعد المواطنة كحالة قانونية، والمواطنة كبعد اجتماعي/سياسي كما أن للمواطنة بعد الهوية الوطنية.

وللارتقاء إلى المواطنة الديمقراطية يجب المرور عبر تفعيلها من خلال تمكين المواطن، تبديد المخاوف من استبعاد اجتماعي، والإيمان بقدرات رأس المال الاجتماعي.

4. الشباب الجزائري والمجتمع المدني من الفضاء العمومي المحجوز إلى الفضاء العمومي المفتوح: ماهية الدور والعلاقة.

مجتمع مدني حر هو أحد أهم معايير تصنيف مدى رفعة الديمقراطية، ومعوقات بنائه هو الغلق والانغلاق في الفضاء المحجوز، إلا أن الانفتاح في وعبر الانترنت ووسائله جعل من الفضاء العمومي غير قابل للغلق والمجتمع غير قابل للانغلاق.

1.4. في مفهوم الفضاء العمومي والفضاء العمومي الافتراضي المفتوح.

يعرف يورغن هابرماس (Jürgen Habermas 1929-2026) الفضاء العمومي على أنه: "فضاء للوساطة يقوم فيه الأفراد الخواص بالاستخدام العمومي للعقل بغية بناء توافق سياسي"

(صغير، 2017، صفحة 118)، وعند حنة أرندت (Hannah Arendt 1904 - 1975) هو فضاء التمثيل الذي يفترض حضور الجمهور الذي بإمكانه إعطاء أحكام إزاء القضايا ذات الشأن العام من خلال عنصر التجلي والأحكام والمواقف، فإذا غاب إبداء الموقف والتفاعل يفقد المركز الأول أي مشهد الظهور قيمته وأهميته (حنة، 2014، صفحة 99)، فيما الفضاء العمومي الافتراضي المفتوح بيئة إنسانية وتكنولوجية جديدة للتعبير والتبادل، وهو يتكون أساسا من دائرة وسطية تكونت تاريخيا بين المجتمع المدني والدولة وهو متاح لجميع المواطنين للتعبير عن آرائهم.

2.4. الفضاء الافتراضي المفتوح وتجاوز عقبات تفعيل المواطنة لدى الشباب:

الفضاء الافتراضي ساحة ذات أبعاد تحتضن فضاءات جديدة، أساسها الاتصال الإلكتروني أولا، وفيه يتم المشاركة وتكون مفتوحة، وثانياتها أنه يساوي بين مواقع وأدوار الأطراف المشاركة فيه، وثالثها أن كل قضية فيه تكون قابلة للنقاش (صغير، 2017، صفحة 119)، هذا ما يجعل "الافتراضي" يتصل بمعنى تجاوز القطبية مع "التقليدي"، وفي هذا السياق الذي هو بالتحصيل خارج سيطرة التقليدي والسلط مهما كان مصدرها، يمكن تفعيل "المواطنة" ويكرس الشاب حريته ويستثمر في عقله وتوجهاته حاضرا ومستقبلا.

3.4. المجتمع المدني في الفضاء الافتراضي

إذا كان "الافتراضي" فتح للشباب الأبواب لتفعيل المواطنة والمشاركة في الحياة العامة فمن باب أولى أن يُكرس بناء مجتمع مدني حر قوي يُرتكز عليه للخروج من صدام الاختلافات إلى فضاء الحلول السلمية في إطار المجتمع المتعاون أفراد.

فالمجتمع المدني الذي تبلور في خضم التطور الذي عرفه الفكر السياسي في أوروبا، وتشكلت ملامحه الأولى مع أعمال فلاسفة الأنوار (الوالي، 2020، صفحة 58)، وتحديدًا مع توماس هوبز (Thomas Hobbes 1588-1679) الذي يعد أول من تلفظ بعبارة المجتمع المدني، التي تحيل بالنسبة إليه إلى حالة السلم والمدنية الناجمة عن العقد الاجتماعي والمقابلة لحالة الطبيعة، فيما وضع جون لوك (John Locke 1632 - 1704) هذا التقابل واعتبر أن المجتمع المدني لم يتشكل فقط لتحقيق السلم، ولكنه أيضا جاء لحفظ الملكية، وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه جون جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau 1712-1778)، فاعتبر المصلحة الفردية هي ما يشكل المجتمع المدني.

ليكون ويظهر في مجموعة البنى التي تتوفر فيها شروط معيارية وهي: الاستقلال عن سلطة الدولة ماديا وإداريا، الهدفية والطوعية، ومن خصائصه القدرة على التكيف، الاستقلال،

الانتشار الجغرافي والتجانس من حيث المرونة في احتواء الاختلافات الداخلية بطريقة سلمية (صونية، 2021، صفحة 03).

ويعتبر المجتمع المدني شرطاً لقيام الديمقراطية، قام على مراحل تاريخية في الغرب منها تميز الفرد كمواطن وككائن حقوقي قائم بذاته في الدولة بغض النظر عن انتماءاته، ورؤية الفرق بين آليات العمل والأهداف والوظائف بين المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية وحيث تؤدي رؤية الفرق بين التنظيمات المجتمعية المؤلفة نظرياً على الأقل من مواطنين أحرار تآلفوا بشكل طوعي وبين البنى الجمعية التي يولد الإنسان فيها (عزمي، 2000، الصفحات 33-34)

5. خاتمة:

إذا كانت المواطنة من المفاهيم القديمة-الحديثة التي يدور حولها جدل يتنوع بحسب الطرف الذي يتناولها، ومن أي زاوية، وتبعاً لما يُراد به، ولما كانت هي علاقة وجدانية عاطفية بين الفرد ووطنه، وتحتم عليه القيام بواجباته في قناعة منه أنها من مقومات هويته، فعلى مستوى الفرد القيام بواجباته، وعلى مستوى الوطن تحقيق وصون حقوق الفرد، فإن ارتباطها بالهوية يعد ارتباطاً عضوياً باعتبار الأخيرة أحد عناصر المواطنة من جهة، ومن جهة أخرى قيام "فقه" المواطنة يقضي حتماً كل أشكال ومجالات استغلال وتوظيف وتوجيه الشباب لتحقيق أهداف شتى تتصادم مع المواطنة، ولا يكون لهذه المحاولات الأثر المرجو منها عندما تكون المواطنة قائمة بذاتها وتعتمد الجماعة البشرية المعنية على الأطر والسبل السلمية المتفق عليها ضمن مواصفات المواطنة الحقيقية.

أضف إلى ما سبق، فإن الشباب في العصر الرقمي ينشطون في المجتمع التقليدي كما في الافتراضي، هذا الأخير الذي فتح آفاقاً أوسع ورسخ فكرة المواطنة الافتراضية، المتحررة من القيود المعيقة لها، وتكريس مبادئ العدالة والحقوق مقابل الواجبات وفقاً لقوانين الجماعة وتحت ضل الجماعة السياسية القائمة على احترام هذه المبادئ وتمكين كل المواطنين وبالتساوي من الاستفادة من قيم المواطنة ورافدها المواطنة الافتراضية، وتكيف فيه الخلافات إلى مصدر قوة لمجتمع يحتضن الكل ولا يقصي أحداً.

ونختم بأنه من الضروري المساواة أمام القانون لكل المواطنين حتى نقيم دولة الحريات، فالإحساس بعقد "الدونية" لدى فئة من الفئات نهايته الخروج عن الشرعية والاستناد إلى العنف بكل أشكاله بما فيه الفساد.

- بناء جسور التواصل والحوار يمر حتما عبر إعلام مُواطني عُضوي يمس أعماق المجتمع، هدفه تقديم خدمة عمومية ببناءة،
- تبديد المخاوف لدى الشباب والتي تعود أساسا إلى نقص الثقة في الآخر وبخاصة المجتمع السياسي، خلل يزرع النزوع إلى العنف أو الاغتراب الداخلي أو الارتقاء في أحضان الاغتراب الخارجي هروبا من وضعية "أزمة" تغذيها مخاوف من استبعاد اقتصادي أو استبعاد اجتماعي أو إقصاء سياسي.
- يجب الخروج من القوالب النمطية الريعية المثبطة للإنتاجية والارتقاء إلى التحفيزية والدفع إلى العمل والمشاركة المجتمعية في إطار الفضاء العمومي المفتوح وضمن المجتمع المدني الحر والمستقل.
- تفعيل المواطنة والارتقاء بها إلى درجة المواطنة الديمقراطية بالتمكين للمواطن، تبديد المخاوف بشأن الاستبعاد الاجتماعي والإيمان بقدرات رأس المال الاجتماعي.
- الاستفادة من الفرص المتاحة عبر الفضاء العمومي المفتوح لتجاوز عقبات الفضاء العمومي المحجوز، مما يمكن الشباب من تفعيل مُواطنيته بشكل يجعل منه فاعلاً، طرفاً مُشاركاً للجماعة ليس في النقاش فقط بل في الإعلام والاطلاع والرأي واتخاذ القرار، مع ضمانه لحقوقه في بناء حاضره والتطلع لتأسيس مستقبله.
- وبالجمع والتشكيل بين المجتمع المدني الحر بأسسه وشروطه ودافعية التحرر من كل أشكال المعوقات والحواجز بفضل الفضاء العمومي المفتوح تتراعى لنا ولادة شباب عُضوي داخل بُنى حديثة ببناء بالارتكاز على تفعيل أُسس وأطر المواطنة سواء التقليدية منها أو عبر الأطر الرقمية والسيبرانية.

6. المراجع:

- ابن منظور ابن منظور . (2008). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار الكتاب الحديث.
- ارندت حنة. (2014). *ما السياسة؟* (المجلد الطبعة الأولى). (زهير الخويلدي وسلمي بالحاج مبروك، المترجمون) الرياض-الجزائر-الرباط، المملكة العربية السعودية-الجزائر-المغرب الأقصى، : منشورات ضفاف ودار الأمان ومنشورات الاختلاف.
- العدي صونية. (2021). المجتمع المدني ... المواطنة والديمقراطية " جدلية المفهوم والممارسة". *مجلة المفكر* (02-03)، 03.
- أمنة حجازي. (2000). *الوطنية المصرية في العصر الحديث*. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

- برا سنان. (2017). اشكالية المواطنة/ الرعية في التراث السياسي الاسلامي. مجلة المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية (01)، الصفحات 03-33.
- بشارة عزمي. (2000). المجتمع المدني دراسة نقدية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- بطرس البستاني. (1977). محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية. بيروت، لبنان. مكتبة لبنان.
- بلخير آسية. (2018). المواطنة في زمن الفضاءات المفتوحة" تجاذبات الولاء بين المحلي والمعولم". مجلة البحوث والدراسات ، 15 (1)، 388.
- جلال احمد أمين. (2018). العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث. مجلة المستقبل العربي ، 234، 64.
- جواد كاضم محسن. (2011). الحقوق والواجبات من منظور اسلامي. المجلة السياسية الدولية .
- خالد خواني خالد، و شمس الدين غيتري ابو القاسم. (جوان، جوان 2018). التربية والتنمية والعدالة، الاليات الاساية في الاتاسيس لثقافة المواطنة. السراج في التربية وقضايا المجتمع ، 6، الصفحات 80-96.
- خيدون محمد وكوبي الوالي. (2020). مفهوم المجتمع المدني العالمي بين القبول والرفض. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية (58)، 93.
- دستور. (2020). دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. والمصادق على تعديله في استفتاء أول نوفمبر 2020، الصادر تعديله بموجب المرسوم الرئاسي رقم 20-442 المؤرخ في 30 ديسمبر 2020، ج.ر. عدد 82 بتاريخ 30 ديسمبر 2020.
- دوباخ قويدر ومليكي مروة. (2017). دور الهوية في إكساب المواطنة لأفراد المجتمع الجزائري. مجلة التنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة زيان عاشور ، 2 (4)، 265.
- رابحي إسماعيل. (2013). الإصلاح التربوي وإشكالية الهوية في المنظومة التربوية الجزائرية. بائنة، الجزائر: أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر بائنة 1.
- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ وميغان موريس. (سبتمبر 2010). مفاتيح/ اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع (المجلد 1). (ترجمة سعيد الغانمي، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- عباس فريدة صغير. (2017). تجليات الفضاء العمومي الافتراضي من خلال التفاعل الافتراضي عبر المجموعات الافتراضية. المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، (4)، 117.
- عبد الحسين شعبان. (15 أكتوبر، 2018). "أسئلة الهويات" في المجتمعات المتعددة الثقافات بين الوحدة والانقسام. مؤسسة بلا حدود ، 05.
- عبد الفتاح علياء سامي. (2009). الانترنت والشباب. القاهرة، مصر: دار العالم العربي.
- عثمان بن صالح العامر. (2003). المواطنة في الفكر الغربي المعاصر، دراسة نقدية من منظور اسلامي. مجلة جامعة دمشق ، 19 (01)، الصفحات 220-240.
- عزمي بشارة. (2022). تأملات في مسألة الهوية. تبين ، 11 (41).

- عمر مهيل. (2007). *من النسق إلى الذات* (المجلد ، الطبعة الأولى). الجزائر-بيروت، الجزائر-لبنان: منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم-ناشرون.
- عيسى يونس عيسى، و عماري عائشة عماري. (2020). اساليب تربية الطفل على المواطنة. *مجلة سوسولوجيا* ، الصفحات 80-99.
- قاسي فوزية. (2016). المواطنة الديمقراطية في الدول العربية: الواقع والتحديات. *مجلة القانون، المجتمع والسلطة، جامعة محمد بن محمد، وهران 2* (5)، 136.
- قرقور نبيل. (2017). الاسس القانونية للمواطنة بين القوانين العربية ومواثيق حقوق الانسان. *مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2*، (25)، الصفحات 20-35.
- لوئيس معلوف. (1986). *القاموس المنجد في اللغة والإعلام* (المجلد 27). بيروت، لبنان: دار المشرق.
- محمد نور الدين افاية. (2014). *الهوية الثقافية في زمن التغيير والتعولم* (المجلد 01). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مروان المعشر. (08 نوفمبر، 2018). وزير الخارجية الأردني الأسبق، الهوية والمواطنة. (جريدة الشرق الأوسط، المحاور) جريدة الشرق الأوسط. لندن.
- مروة مختار. (2019). ستيوارت هول وتشكل الهوية الثقافية. *مجلة الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية* (511-512)، 84.85.
- مولود طبيب. (جانفي، 2018). المواطنة بين الادعاء والممارسة. *مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية* ، 25، الصفحات 510-520.
- نايت بلقاسم مولود قاسم. (2007). *إنية وأصالة*. الجزائر، الجزائر: دار الأمة.
- نبيل قرقور. (2017). الاسس القانونية بين القوانين العربية ومواثيق حقوق الانسان. *مجلة العلوم الاجتماعية* (25).
- يحيى بومعقل. (2005). *صحوة الهوية وأزمة الدولة الوطنية*. الكاتب الجزائري ، 2 (2)، 75.